

الحقيقة الأولى، هي أنَّ الجَنَّةَ التي وعدهم ﷻ بها ويسعون إليها، لن يكون الطريق إليها معبداً ومفروشا بالرياحين، بل هو مليء بالأشواك، ويحتاج بلوغه إلى صبرٍ وتحملٍ ومُعانة، فقد ورد في الحديث: «الجَنَّةُ محفوفة بالمكاره والصبر، فمَن صبر على المكاره في الدُّنْيَا، دخل الجَنَّةُ». وقد ورد في الحديث: «ومَن سأل ﷻ الجَنَّةَ ولم يصبر على الشدائد؛ فقد استهزأ بنفسه». وقد قال الإمام عليّ (عليه السلام) للذين كانوا يعتقدون أنَّه بقليلٍ من العمل، وبدون تعب وجهد وتحملٍ المُعانة، يستطيعون نيل الجَنَّةِ وبلوغها: «أبهذا تريدون أن تجاوروا ﷻ في دار قدسه، وتكونوا أعزَّ أوليائه عنده؟ هيهات! لا يخدع ﷻ عن جَنَّتِه، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته».

أما الحقيقة الثانية، فهي أن أي نصر وعد إلهي للمؤمنين، لن يتحقق إلا بعد أن يخضعهم إله سبحانه لامتحان واختبار شديدين، يظهرون فيه صبرهم وثباتهم وإيمانهم، والذي أشار إليه إله بقوله: (مَسَّ تَهُمْ أَلْبَاسُهُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُهُ أَفَلا يَنْصَرُونَ) (العنكبوت/ 1-3). إذاً سنة الابتلاء والامتحان هي سنة من سنن إله التي جرت في التاريخ وتجرى في الحاضر، وهي التي أشار إليها إله سبحانه عندما قال: (الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَدَوْنَ * وَلَقَدْ فِتْنَتَا الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت/ 1-3). فالله سبحانه لن يكتفي من العبد أن يعلن إيمانه، أو أن يمارس طقوس هذا الإيمان وعباداته، بل هو عرضة لامتحانات بها تظهر حقيقة هذا الإيمان عنده، وعلى أساسها، يتميز الصادق في إيمانه من الكاذب، والجاد من غير الجاد، والطيب من الخبيث.

في معركة الخندق.. صمد المسلمون وأبلوا بلاءً حسناً، بإيمانهم ثمّ بأخوّتهم الفذة، صمدوا أمام التحدّيات الداخلية والخارجية وجاهدوا أفضل الجهاد. فبدؤوا بحفر الخندق حول المدينة باتّجاه العدو، وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مع المسلمين ليشاركهم في حفر هذا الخندق وتقسيم العمل بينهم، وكان يحثّهم ويقول: «لا عيش إلاّ عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين الأنصار». وهكذا واجه المسلمون أكبر التحدّيات في معركة الخندق، وكانت أكبر عدة لهم - بعد الله - ثمّ إيمانهم الراسخ - هي إخوّتهم، ووحدة صفهم، وتماسكهم، فلقد ذاب كلّ واحد منهم في المجموع فتشكّلت قوّة واحدة منهم يصعب اختراقها بل كان النصر حليفها.